

أولاً : أصول الدعوة :

1. تعريف الدعوة إلى الله تعالى:

الدعوة لغة: من دعا بالشيء، دعواً، ودعوة، أي: طلب إحضاره.

ودعوت الله: أدعوه، دعاءً، أي: ابتهلت إليه بالسؤال، ورغبت فيما عنده من الخير.

والدعوة: مأخوذة من الدعاء، وهو النداء لجمع الناس على أمر ما، وحثهم على العمل له.

والدعوة قد تكون إلى قضية يراد إثباتها أو الدفاع عنها حقاً كانت أم باطلاً:

فمن الدعوة إلى الباطل: {قَالَ رَبِّ السَّجُنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ}، ومنها:

«أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم».

ومن الدعوة إلى الحق: قوله تعالى: {لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ}، وقوله ρ في كتابه إلى هرقل:

(أدعوك بدعاية الإسلام) أي دعوته، وقال مؤمن آل فرعون: {وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى

النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ}.

وأما الدعوة إلى الله تعالى في الاصطلاح فلها عدة تعريفات، منها:

أولاً/ قيل هي: (تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة).

ثانياً/ وقيل هي: (البيان والتبليغ لهذا الدين، أصولاً ، وأركاناً ، وتكاليف ، والحث عليه ،

والترغيب فيه).

ثالثاً/ وقيل الدعوة: هي (العلم الذي تعرف به كافة المحاولات الفنية المتعددة، الرامية إلى

تبليغ الناس الإسلام، مما حوى عقيدةً، وشرعيةً، وأخلاقاً).

حكم الدعوة إلى الله:

لقد أوضح القرآن الكريم، وبيّنت السُّنة النبوية الشريفة، حُكم تبليغ الدّعوة إلى الله؛ ومن

خلال نُصوص الكتاب والسُّنة، قسّم العلماء هذا الحُكم إلى قسمين:

القسم الأول: إنّ الدّعوة إلى الله فَرَضَ عَيْنٌ على الأنبياء والمرسلين، ثم العلماء الذين فقهوا

دين الله، ووقفوا على أحكامه، وتعرّفوا على شرائعه.

القسم الثاني: تعاون جميع أفراد الأمة فيما بينهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو حق لدى جميع المسلمين، وفرض كفاية إذا قام به البعض سقط الإثم عن الجميع. أما إن تقاعست الأمة عن التناصح فيما بينها، فإن الجميع مسؤولون ويأثمون عن هذا التقاعس.

2. أدلة وجوب الدعوة إلى الله تعالى:
وردت عدة أدلة على وجوب الدعوة إلى الله تعالى في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وذلك على النحو الآتي:

أولاً / الأدلة من الكتاب:

ونذكر منها:

- 1- قال تعالى: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون). وفي قوله: (ولتكن) أمر ظاهره الوجوب
- 2 - قال تعالى: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة) وفي الآية: أطلق مسمى الإيمان على من قام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمن لم يقم به لا يستحق أن يكون من المؤمنين
- 3 - قال تعالى: (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) وهذه الآية شددت على المقصرين بشأن الدعوة إلى الله، وعللت استحقاقهم لعنة بتركهم النهي عن المنكر

- 4 - قال تعالى: (فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئس بما كانوا يفسقون) وهذه الآية بينت أن الناجين ما تحققت لهم النجاة إلا بالنهي عن السوء ، وهو ما يؤكد أمر الوجوب

- 5 - قال تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان)، والأمر الوارد في هذه الآية يفيد وجوب الحث على التعاون، وما قيام الداعية بواجبه تجاه المدعو مادياً ومعنوياً إلا صورة واضحة للتعاون الذي حث عليه الآية .

ثانياً : الأدلة من السنة

استدل العلماء على وجوب الدعوة إلى الله بأحاديث كثيرة نذكر منها:

1 - عن حذيفة بن اليمان أن النبي ﷺ قال : « والذي نفسي بيده لتأمرنَّ بالمعروف وتنهونَّ عن المنكر أو ليؤشكنَّ الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ثم لتدعنَّه فلا يستجيب لكم » رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح

2- عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جاهدوا الكفار بأيديكم وألسنتكم وأموالكم » رواه النسائي وصححه الألباني.

ويلاحظ أن صيغة الأمر الواردة في الأحاديث السابقة تدل على الوجوب .

3 - أهداف الدعوة إلى الله :
أهداف الدعوة إلى كثيرة منها:

1. بيان الحق والبلاغ المبين:

قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ } ، وقال تعالى : { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } ، وقال ع : (بلغوا عني ولو آية).

2. الدعوة إلى الاستجابة للدعوة وامثالها قولاً وعملاً:

{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} ، مفتاح دعوة الأنبياء: {اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} ، {اتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا} .

3. التبشير والإنذار:

هو مفتاح النفس الإنسانية فهي مجبولة على طلب الخير لذاقتها، ودفع الشر عنها، {وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ} ، قال ﷺ : (مثلي ومثل ما بعثني الله به، كمثلي رجل أتى قوماً، فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان، فالنجاء النجاء، فأطاعه طائفة من قومه، فأدجلوا وانطلقوا على مهلهم فنحوا، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكأنهم فصبّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق) متفق عليه.

4. إصلاح النفوس وتركيتها:

قال تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} .

5. إقامة الحجة والإعذار إلى الله بأداء الأمانة:

{رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا}، وأتباع الرسل يخلفونهم في هذه المهمة: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي...}، {وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رِئْنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَى}. .

4 - فضل الدعوة إلى الله تعالى :

ورد في فضل الدعوة والدعاة آيات وأحاديث كثيرة، ومن ذلك :

أ - إن قول الدعاة أحسن الأقوال، وإن كلامهم في التبليغ أفضل الكلام..:

قال جل جلاله في سورة فصلت : ((وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)) .

ج - أن أجرهم مستمر ومثوبتهم دائمة:

لما رواه مسلم وأصحاب السنن عن رسول الله ﷺ، أنه قال: « من دعاء إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً.. » .

د - أنهم خير هذه الأمة على الإطلاق:

لقوله تعالى في سورة آل عمران: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ..) .

هـ - أنهم هم المفلحون والسعداء في الدنيا والآخرة:

لقوله سبحانه في سورة آل عمران: (وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) .

و - أن الله سبحانه يشملهم برحمته الغامرة ويخصهم بنعمته الفائقة:

ويدل على ذلك قوله عز وجل في سورة التوبة: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) .

5 - أركان الدعوة إلى الله :

أركان الدعوة إلى الله أربعة هي: (الداعية، المدعو، المدعو إليه) .

الركن الأول : الداعية :
تعريفه :

الداعية في اللغة: هو من يدعو إلى دين أو فكرة.

والدعاة: قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، واحدهم داعٍ.

ورجل داعية: إذا كان يدعو الناس إلى دين، أو بدعة، وأدخلت الهاء فيه للمبالغة.

وقيل: الداعية: صريخ الخيل في الحروب، لدعائه من يستصرخه. يقال: أجبوا داعية

الخيـل .

والداعية في الاصطلاح هو: (المبلغ للإسلام، والمعلم له، والساعي إلى تطبيقه).

فضله :

للداعية فضائل كثيرة منها:

1/ إنه خير هذه الأمة منزلة ورفعة:

وذلك لقوله تعالى: ((كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)).

2/ إنه من أهل الفلاح في الدنيا والآخرة:

وذلك لقوله تعالى: ((وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)).

3/ إن الله عز وجل يشمل به برحمته ويخصه بنعمته:

وذلك لقوله تعالى: ((وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)).

4/ إن أجره مستمر ومثوبته دائمة:

لقولوه صلى الله عليه وسلم: " من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً".

واجباته :

واجبات الداعية إلى الله كثيرة منها:

1/ أن يتحلى بالعلم والعمل معاً، ليكون من الداعيين إلى الله على بصيرة: لقوله تعالى: ((قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)).

2/ أن يعرف الأصول الثابتة للدعوة: لئلا ينحرف عنها نتيجة لما قد يقابله من عقبات أثناء دعوته.

3/ أن يكون عارفاً بأحوال الناس خبيراً بما يدور في مجتمعه، لأن الدواء يُحدد بناءً على معرفة الداء.

4/ أنه لا يجوز له استخدام الوسائل الممنوعة في دعوته: لأنه لا يمكن أن يصل الداعية إلى الحق عن طريق الباطل مهما كان مزيناً ومزخرفاً، وقد كان بعض الناس ممن ينسب للدعاة في الزمن الماضي يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويضعون عليه الأحاديث بقصد ترغيب الناس في العبادة، فإذا اعترض عليهم أحدٌ قالوا: نحن نكذب له لا عليه. والعلماء لم يجوزوا هذا النوع من الكذب بحال، مع ما فيه من ترغيب العوام في العمل بالسنة.

5/ مخالطة الناس في مجتمعه والتعرف على أحوالهم: لأنه كلما كان الداعية محبوباً لدى الناس كانت استجابتهم لدعوته أكبر واجتماعهم حوله أكثر قال تعالى: ((وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ))، وقال صلى الله عليه وسلم: "المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم" رواه أحمد.

6/ أن يكون حريصاً على هداية من يدعو، حريصاً على إيمانه ساعياً في ذلك بكل سبيل:
وقد وصف الله سبحانه وتعالى نبيه بالحرص على هداية الناس، قال تعالى: ((لَقَدْ جَاءَكُمْ
رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)).

7/ الصبر على تحمل الأذى في الدعوة إلى الله: فطريق الدعوة إلى الله ليس مفروشاً
بالرياحين، ولا بد فيه من الابتلاء، لذلك كان من أوائل ما نزل على النبي صلى الله عليه
وسلم الأمر بالصبر مقروناً بالدعوة إلى الله كما في قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ *
وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ)) المدثر 1-
7، فلا بد للداعي إلى الله من التحلي بالصبر لأنه لا بد وأن يؤدي في دعوته فكل الرسل قد
عودوا، وقد قال ورقة بن نوفل للنبي صلى الله عليه وسلم: "لم يأتي رجل بمثل ما جئت به إلا
عودي"، وقال صلى الله عليه وسلم: "أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل".

8/ احتساب أجر الدعوة إلى الله: يجب على الداعي إلى الله أن يكون محتسباً لا يطلب على
دعوته أجراً قال تعالى: ((قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ))، وحتى لا يتهم
في دعوته وأنه لم يدع إلا للدنيا ولذلك أمر الله جميع رسله أن يقولوا: ((وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ
أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ))، وأتباع الرسل والأنبياء يجب أن يتأسوا بهم في دعوتهم
إلى الله فتكون دعوتهم إلى الله من أجل دينه واحتساباً لله، وبهذا تجد دعوتهم القبول وتنتفي
عنهم الظنة ويكونون بعيدين عن الشبهة.

9/ الدعوة إلى الله في كل وقت وفي جميع أحواله وظروفه: وهذا كان منهج جميع رسل الله عز
وجل، كما قال الله تعالى حاكياً عن نوح عليه السلام: ((قال ربي إنني دعوت قومي ليلاً
ونهاراً....))، وقال عن يوسف عليه السلام: ((يا صاحبي السجن))، كما كان النبي صلى
الله عليه وسلم داعياً إلى الله عز وجل في جميع أوقاته.

10/ الاستمرار على الدعوة إلى الله وإن لم يستجب أحد: قال النووي: لا يسقط عن

المكلف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يفيد في ظنه، بل يجب عليه فعله فإن الذكرى تنفع المؤمنين فإن الذي عليه الأمر والنهي لا القبول " شرح مسلم.

صفاته :

من أهم الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية إلى الله تعالى :

1. الإخلاص ، لأن العمل لا يصح ولا يقبل إلا به .
2. قوة الصلة بالله I ، وذلك من خلال المحافظة الشديدة على الفرائض ، والإكثار من النوافل ، واللجوء إلى الله I ، على كل حال.
3. العلم ، الذي به تصح النية، والمنهج، وأهم العلوم التي يحتاجها الداعية إلى الله I، علم الكتاب والسنة، وما يتفرع ويتصل بهما، وتحصيل العلم لا يتم إلا بالجدّ والحرص عليه ، والسؤال عنه كما كان حال سلفنا الصالح الذين ضربوا أروع الأمثلة وأعظمها في ذلك الأمر. كما أن العلم يحتاج إلى سرعة العمل به، والاستجابة لأوامره، والانتفاء عن نواهيه، وإلا أصبح الإنسان به (كمثل الحمار يحمل أسفارا) .
4. الورع والتقوى، وذلك لأن الداعية محل نظر المدعوين وقدوتهم.
5. الاستشارة، لأن الآراء عندما تجتمع تنضج وتخرج بصورة جيدة وقليلة الأخطاء.
6. الحرص والمبادرة إلى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله I.
7. المداومة على العمل والمحافظة عليه.
8. الفطنة والفراسة.
9. التفاؤل ، الثقة بنصر الله I ، وحسن الظن به.
10. حسن السمات.
11. حسن استغلال الفرص والمواقف.
12. فصاحة اللسان.
13. الحرص على طلب العلم، والتحلي بآدابه، وطلب العلم له آداب ينبغي على الداعية المحافظة عليها والتمسك بها ومراعاتها.
14. حسن الخلق، لأنه من أعظم ما يجذب المدعوين إلى الداعية، وإلى العمل بما يدعو

إليه، وحسن الخلق يشمل عدة فروع، منها:

- أ - الصبر .
- ب - الجود .
- ج - التواضع .
- د - الحلم والأناة .
- هـ - العفو .
- و - الرفق واللين .
- ز - الوفاء .
- ح - الحياء .
- ط - احترام الكبير .
- ي - الرحمة .
- ك - الحرص على النظافة .

الركن الثاني : المدعو :
تعريفه :

إن كلمة (المدعو)، مشتقة من دعاه يدعوه ، فهو مدعو. إذن فهو اسم مفعول، مشتق من أصل الكلمة (دعا).

والمدعو في الاصطلاح: (هو الإنسان المخاطب بدعوة الإسلام).

وعلى ضوء ذلك التعريف نستطيع نذكر مجموعة من القواعد العامة التي تتعلق بالمدعو على النحو الآتي:

أولاً/ المدعوون إلى الله I ، هم الناس جميعاً ، إذ يقول الله Y : { وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً } ، إذن فينبغي للداعية إلى الله I ، أن يتوجه بدعوته للناس جميعاً ويعرضها عليهم ويبلغهم إياها من غير استثناء لأحد منهم .

ثانياً/ يدخل ضمن المدعوين : الجن ، إذ نجد أن رسول الله p ، توجه لهم بالدعوة، وخاطبهم بها ، وذلك لأنهم مطالبون بالإيمان بالله I ، وبرسوله p ، والعمل بشريعته ، يقول الله I : { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون } ، ويقول Y : { يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا } ، ويقول Y : { وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا ، فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين * قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصداقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم * يا قومنا أجيئوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم } حقوقه:

للمدعو حقوق كثيرة منها:

1/ أن يؤتى ويدعى: أي أن الداعي يأتيه ويدعوه إلى الله تعالى ولا يجلس الداعي في بيته وينتظر مجيء الناس إليه، وهكذا كان يفعل الداعي الأول نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم، يأتي مجالس قريش ويدعوهم ويخرج إلى القبائل في منازلها في موسم قدومها مكة ويدعوهم ويذهب إلى ملاقاته من يقدم إلى مكة يدعوه. فقد جاء في سيرة ابن هشام: "فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه في المواسم، إذا كانت، على قبائل العرب يدعوهم إلى الله، ويخبرهم أنه نبي مرسل ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به فيقف

على منازل القبائل من العرب فيقول: "يا بني فلان إني رسول الله إليكم يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه هذه الأنداد وأن تؤمنوا بي وتصدقوا بي وتمنعوني حتى أبين عن الله ما بعثني به"، وكان صلى الله عليه وسلم لا يسمع بقادم إلى مكة من العرب له اسم وشرف إلا تصدى له فدعاه إلى الله وعرض عليه ما عنده". ولم يكتف صلى الله عليه وسلم بأهل مكة ومن كان يأتيها وإنما يذهب إلى خارجها ذهب إلى الطائف يدعو أهلها "فلما انتهى إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف هم يومئذ سادة ثقيف وأشرفهم فجلس إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم إلى الله..".

2/ أن لا يستهين به الداعية: ولا يجوز للداعية أن يستصغر شأن أي إنسان أو أن يستهين به فلا يدعوه، لأن من حق كل إنسان أن يدعى، وقد يكون هذا الذي لا يقيم له الداعية وزناً سيكون له عند الله وزن كبير بخدمته للإسلام والدعوة إليه، وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو كل إنسان يلقاه أو يذهب إليه. جاء في السيرة النبوية أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن عرض نفسه الكريمة على قبائل العرب التي وافت الموسم في مكة وكان ذلك قبل الهجرة بنحو ثلاث سنوات، ولم يستجب له منهم أحد، لقي ستة نفر من الخزرج عند العقبة من منى وهم يخلقون رؤوسهم، فجلس إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن فاستجابوا لله ولرسوله وآمنوا ثم رجعوا إلى قومهم بالمدينة وذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم "ودعوهم إلى الاستلام ففشوا فيهم حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا فيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم"، فرسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستصغر شأن أولئك الستة وهم يخلقون رؤوسهم بعد أن لم يستجب له أحد من القبائل النازلة حوالي مكة ولم يقل في نفسه الكريمة: أي أمل في هؤلاء المشغولين بخلق رؤوسهم. ثم إن أولئك الستة كانوا هم الدعاة الأول إلى الإسلام في المدينة، فعلى الداعي أن يقتدي بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يستهين بأحد فيزهد في دعوته فقد يكون الخير الكثير على يد هذا الذي لا يرى فيه خيراً الآن.

3/ الحرص على نصح المدعو رجاء هدايته:

على الداعية إلى الله تعالى أن يكون ناصحاً للمدعو، ويحرص على هدايته في جميع الأحوال، وليتذكر في ذلك أسوته و قدوته نبينا محمد ﷺ، فقد كان رحيماً وشفيقاً للناس،

حريصا على هدايتهم وإنقاذهم من الضلال إلى الهدى، ومن ظلمات الكفر إلى نور الإيمان.
4/ اختيار أنسب الوسائل والأساليب الملائمة في دعوته مع المدعو:

إن اختيار أنسب الوسائل والأسلوب الملائم مع المدعو من صميم عمل الدعاة، وذلك أن المدعويين يختلف أنواعهم، فمنهم الأطباء ومنهم أصحاب العلم ومنهم المحامى والمهندس، فكل هؤلاء تختلف أساليب ووسائل مواجهتهم.

و أحيانا يحتاج الداعي إلى أسلوب المقارنة بين الدعوة الإسلامية والدعوات الأخرى، و أسلوب الرد على الشبهات والمفتريات، وأسلوب التربية والإعداد، وأسلوب الترغيب والترهيب، وغير ذلك. وهذا يسهل على الداعي إذا حدد له طبقة من المدعويين قبل أن يبدأ العمل الدعوى.

واجباته:

للمدعو واجبات كثيرة منها:

1/ أن يستجيب للحق: وأنهم إذا فعلوا فقد سلكوا سبيل الفوز والفلاح، لقوله تعالى: ((إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون)) ولنا في التاريخ عبر كثيرة ونماذج واضحة ، فالصديق رضي الله عنه استجاب فوراً ولم يتلكأ، والسحرة امنوا برب موسى وكانت استجابتهم سريعة بعد أن تبين لهم الحق قال تعالى: ((إننا أمنا برينا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر)).

- وهناك بعض المدعويين يستجيب ببطء كاستجابة طلقاء مكة وعلى رأسهم أبو سفيان وزوجته هند بنت عتبة، وهناك من لا يستجيب أبدا كأيي جهل وأبي لهب وغيرهما .

2/ أن يقوم بالتطبيق ، فبعد سماع الحق و القناعة به، عليه أن يطبق ما هو مطلوب منه، لان الإيمان يتبعه العمل قال تعالى : ((....إلا الذين امنوا وعملوا الصالحات)).

أصناف المدعوين :

وهم جمهور الدعوة فيعرف الداعي أصناف المدعوين وطبائعهم وظروفهم وأحوالهم ومستوياتهم العلمية والاجتماعية ليختار لهم من الأساليب أنجعها ومن الطرق أنفعها ومن الموضوعات أنسبها، ويدل على ذلك قوله تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} يوسف 108، والبصيرة بمعناها العام هي العلم والفهم فتتناول هذه الأمور الثلاثة في حق الداعية.

والمدعوون أصناف كثيرة ، وسنتطرق هنا إلى الحديث عن أصناف المسلمين وغير

المسلمين.

أ/ أصناف المسلمين:

المسلمون مختلفون، وبحسب اختلافهم، واختلاف مداركهم، وأعمالهم، تختلف أحكام

دعوتهم كما يلي:

1 - من عنده نقص في الإيمان وجهل بالأحكام:

نصبر على أذاه وندعوه، ونعلمه بالرفق التام واللين، والإرشاد بلطف، كما فعل النبي - صلى الله عليه وسلم - مع الأعرابي.

عن أنس رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: مَهْ مَهْ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: «لَا تُزِرْمُوهُ، دَعُوهُ». فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ.

ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ». أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -، قَالَ: فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ، فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ، فَشَنَّهُ عَلَيْهِ. متفق عليه.

2 - من عنده نقص في الإيمان وعلم بالأحكام:

فهذا يدعى بالحكمة والموعظة الحسنة ويدعى له؛ ليزيد إيمانه فيطيع ربه، ويتوب من معصيته. عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم -، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزَّيْنِ، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَرَجَرُوهُ، قَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ: «اِذْنُهُ» فَدَنَا مِنْهُ

قَرِيبًا، قَالَ: فَجَلَسَ، قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لَأُمِّكَ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لَأُمِّهِاتِهِمْ»، قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟». قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِابْنَاتِهِمْ»، قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِأَخِيكَ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ»، قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ»، قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ»، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ". قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ. أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ.

3 - من عنده قوة في الإيمان وجهل بالأحكام:

فهذا يدعى مباشرة ببيان الحكم الشرعي، وبيان خطر اقتراف المعاصي، وإزالة المنكر الذي وقع فيه: عن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - رَأَى خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ، فَتَزَعَهُ فَطَرَحَهُ وَقَالَ: «يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ»، فَقِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: خُذْ خَاتَمَكَ انْتَفِعْ بِهِ، قَالَ: لَا، وَاللَّهِ لَا آخِذُهُ أَبَدًا وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

4 - من عنده قوة في الإيمان وعلم بالأحكام:

فهذا ليس له عذر، يُنكَرُ عَلَيْهِ بِقُوَّةٍ، وَيُعَامَلُ مُعَامَلَةً أَشَدَّ مِمَّا سَبَقَ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ قَدْوَةً لغيره في المعصية، كما اعتزل النبي - صلى الله عليه وسلم - الثلاثة الذين خَلَفُوا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، وَأَمَرَ النَّاسَ بِهَجْرِهِمْ لَمَّا تَرَكَوا الْخُرُوجَ لِغَزْوَةِ تَبُوكَ مَعَ كَمَالِ إِيْمَانِهِمْ وَعِلْمِهِمْ، وَلَا عَذْرَ لَهُمْ، حَتَّى تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ هَلَالُ بْنُ أُمِيَّةَ، وَمَرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ، وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَالْقِصَّةُ مَفْصَلَةٌ فِي الصَّحِيحِينَ.

قال الله تعالى: {وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (118)} [التوبة/118].

ومما لا شك فيه أن كل صنف مما سبق له سمات خاصة قد تختلف عن الآخرين، مما يترتب عليه أن يختار الداعية إلى الله I ، مع كل صنف ما يناسبه من الوسائل والأساليب الدعوية التي تؤثر فيه ، كما أن كل صنف له حقوق ومسؤوليات تجاه الداعية قد تختلف عن الآخر .

ب/ أهل الكتاب.

ج/ المشركون.

سمات بعض المدعوين:

1. سرعة استجابة المؤمن للموعظة والتذكير.
2. من سمات المدعوين بشكل عام: طلب المزيد من الخير.
3. من سمات النساء: شدة العاطفة عندهن، وسرعة التأثر.
4. من سمات الملأ الغالبة: التكبر ، وشدة التعلق بالدنيا.
5. من سمات اليهود : شدة الخصام واللجاج .
6. من سمات الأعراب: الجفاء، وعدم الاهتمام بالمظهر، ورفع الصوت، والجرأة والعجلة.

7. خوف الكفار وشدة عدائهم للدعوة وصاحبها.

الركن الثالث: المدعو إليه :

وهو موضوع الدعوة، والمقصود به الإسلام، فالداعية لا يدعي إلا إلى الإسلام وهو سبيل الله وصراطه المستقيم الذي يأمر بالتوحيد بالله والإيمان به.
أولاً: تعريف الإسلام:

الإسلام في اللغة: مشتق من الاستسلام ، وهو الخضوع والانقياد .

وفي الاصطلاح: له إطلاقان: عام ، وخاص .

فأما الأول (وهو المعنى العام): فيطلق على جميع ما أرسل به المرسلون من لدن آدم إلى خاتمهم المختار عليه الصلاة والسلام.

وأما المعنى الخاص : فهو الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند ربه ففتح الله به الرسالات، كما ختم بصاحبه النبوات، وهو دين الله الذي لا يقبل غيره ولا يرضى بسواه.

وأفضل تعريف للإسلام هو تعريف رسول الله . صلوات الله وسلامه عليه . ردّا على سؤال

جبريل عليه السلام ، حين قال : "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، قال صدقت ..."

وقد جمع هذا الدين في طياته عقيدة صحيحة، وشريعة كاملة، في ثوب من مكارم الأخلاق، فكان بحق دين الله الحق وما سواه فضرب من الباطل.

خصائص الإسلام:

اختص دين الإسلام بخصائص كثيرة ، وامتاز بمزايا عديدة تتجلى في كليات أحكامه وجزئياتها ، ومن أبرز هذه الخصائص:

1/ قدسية المصدر (الربانية):

فالإسلام مصدره ومنهجه وأحكامه ، كل ذلك من عند الله ، فهو وحيه إلى رسوله الكريم ، وهذا أكبر فارق بينه وبين ما عداه من الأديان.

2/ الشمولية:

فهو دين شامل لجميع شؤون الحياة وسلوك الإنسان ، وهذا الشمول لا يقبل الاستثناء ولا التخصيص، بل هو كامل تام بكل ما تحمله الشمولية من معنى. لقد نظم الإسلام علاقة العبد بربه، وعلاقته بالناس، وعلاقته بحكامه والعكس، وعلاقته بالكون حوله، وبين له ورتب له حياته قبل الممات وبعد الوفاة .

3/ العموم:

من البدهيات في الإسلام أنه جاء لعموم البشر وكافة الخلق، وليس هو لطائفة معينة، ولا لجنس دون جنس.

وهذا العموم كما يشمل الأجناس كذلك يشمل الأماكن والأزمان، فهو دين الله لكل الخلق في كل مكان وإلى أن تقوم الساعة؛ ولذلك فقد شرعه الله تعالى صالحا لهذا العموم وفي حاجات الناس، ويحقق مصالحهم، ولا يتخلف عن أي مستوى يعيشونه في مجتمعاتهم، وهذا واضح من خلال واقع الشريعة وطبيعة مبادئها ومناهجها وأحكامها ،ومن ثم جاء الإسلام شاملا كاملا.

هذه كانت إطلالة سريعة على خصائص الإسلام الذي هو موضوع الدعوة، والواجب على الدعاة أن يبينوا للناس هذه الجوانب من عظمة هذا الدين، ويجعلوا ذلك أصل دعوتهم فإن أكثر الخلق غافلون عن معرفة الإسلام جاهلون به، ولو عرف الناس الإسلام حق معرفته لدخلوا فيه أفواجا كما خرجوا منه .

مصادر الدعوة إلى الله:

مصادر الدعوة إلى الله خمسة وهي :

- 1- القرآن الكريم
- 2- السنة النبوية الشريفة
- 3- السيرة النبوية المطهرة
- 4- سيرة الخلفاء الراشدين
- 5- وقائع العلماء والدعاة في ضوء تلك المصادر

المصدر الأول: القرآن الكريم:

تعريفه: في اللغة : القرآن : مصدر قرأ يقرأ ، وقيل في أصول اشتقاقه غير ذلك .
وقدُ خص بالكتاب المنزل على محمد -صلى الله عليه وسلم- فصار له كالعلم ، كما أن التوراة لما أنزل على موسى ، والإنجيل على عيسى صلى الله عليهما وسلم .
ويقال للقرآن : فرقان أيضًا ، وأصله مصدر كذلك ، ثم سمي به النظم الكريم تسمية للمفعول أو الفاعل بالمصدر ، باعتبار أنه كلام فارق بين الحق والباطل ، أو مفروقٌ بعضه عن بعض في النزول ، أو في السور والآيات .

وفي الاصطلاح

اختلفت أساليب العلماء في تعريف القرآن الكريم في الاصطلاح، فذهب بعضهم إلى الاختصار والإيجاز، وذهب آخرون إلى التفصيل والإطناب، ولعل من أقصر ما يمكن أن يعرف به أنه :

"كلام الله عز وجل ، المنزل على رسوله -صلى الله عليه وسلم - المنقول عنه بالتواتر، المتعبد بتلاوته.

خصائص القرآن الكريم:

- 1 - الربانية: وهي نسبة إلى الرب سبحانه وتعالى ، وهي أهم الخصائص ومصدرها جميعاً وإليها ترجع الخصائص الأخرى
- 2- الكمال : وهي بمعنى " الخلو عن النقص والعيب " ، وهي أثر للخصيصة الأولى الربانية" فكلام الله عز وجل المنزه عن كل نقص و عيب كامل أيضا ، قال : (وإِنَّهٗ لكتاب عزيز لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيلٌ من حكيم)
- 3- الوضوح: وهي " الإبانة " ويقابلها " الغموض "
- 4- الشمول: وهي " الإحاطة " ، فالقرآن شامل لجميع ما يحتاج إليه الإنسان في دنياه وأخراه ، لأنه جاء لسعادته في الدنيا والآخرة ، وهذا ما يعبر عنه بعضهم: بالشمول الموضوعي ، وهو شامل لجميع الناس من زمنه -صلى الله عليه وسلم - إلى يوم القيامة ، وموجه إليهم جميعاً أينما كانوا ، وهو ما يعبر عنه بعضهم: بالشمول الزماني والمكاني .
قال تعالى مشيراً إلى هذه الخصيصة: (ما فرطنا في الكتاب من شيء)
- 5 - التوازن: وهي " الانسجام " وائتلاف بين أجزاء الشيء ويقابلها: " التنافر والاختلاف " ، ويعبر عنها بعضهم " بالوسطية " نسبة إلى الوسط .
ولا يشترط في توازن الشيء التساوي بين أجزائه ، وإنما يكفي الاعتدال والانسجام فيما بينها ، كما يقال عن الدم في جسم الإنسان إنَّه متوازن مع اختلاف نسبة تركيباته كمَّا ، والتوازن خصيصة متعلّقة بخصيصة الشمول ومكملة لها ، فلا يظهر جمال الشمول إلا بالتوازن.
- 6- العملية: وهي : (صلاحية الشيء للتطبيق والعمل به في كل زمان ومكان) وهذه الخصيصة تعد ثمرة ونتيجة لجميع الخصائص السابقة ، فلولاها لم تكن هذه الخصيصة .
- 7- الإعجاز: وهو "إظهار عجز البشر بتحديدهم بالإتيان بمثله شكلا ومضمونا، ويمكن أجمال أوجه إعجاز القرآن في عدة وجوه منها:
أ- الإعجاز البياني
ب- الإعجاز التشريعي
ج - الإعجاز الإخباري (الغيبي)
د- الإعجاز العلمي .

فقد تحدى القرآن الكريم الناس جميعاً بأن يأتوا بمثله ، وذلك على ثلاث مراحل على رأي جمهور العلماء ، وعلى أربع مراحل على قول بعضهم قال تعالى : (أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بسورة مثله ، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين)

هذا ولا يزال هذا التحدي سائر المفعول إلى يوم القيامة ، ولا يزال العلماء يكتشفون أوجهها إعجازية فيه ، كل بحسب إمكانياته وتخصصه.

8- الثبوت القطعي: وتعني (اتّصال سند نقل القرآن الكريم وروايته بالنبي -صلى الله عليه وسلم- دون انقطاع على وجه متواتر قطعي لا يداخله شك إلى يومنا هذا . وعلى الرغم من وجود القراءات المشهورة والآحاد ، التي يستفاد منها في التفسير واستنباط الأحكام ، فقد أجمعت الأمة على وجوب تجريد القرآن عنها عند جمعه ، فلم يثبت في المصحف إلا المتواتر المقطوع بثبوته .

9- الحفظ: وتعني (السلامة من التحريف ، والزيادة والنقص) فقد حفظ الله عز وجل هذا القرآن من أي تغيير أو تبديل ، وذلك بتهيئة من يهتم به ويرعاه من أول يوم أنزل إلى يومنا هذا، قال تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنّا له لحافظون)
المصدر الثاني: السنة النبوية الشريفة

تعريف السنة:

في اللغة: تطلق السنة على معان كثيرة في اللغة منها (الطريقة) في الاصطلاح: تعددت تعريفاتها تبعاً لاختصاص المعرفين ، فهناك تعريف للمحدثين، وآخر للفقهاء، وثالث للأصوليين، والتعريف المناسب لمقام ذكر المصادر والأدلة هو تعريف الأصوليين للسنة.

وهو (ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم، من فعل أو قول أو تقرير)
والسنة النبوية بالنسبة للداعية هي طريقة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الدعوة، عليها يعتمد في دعوته ، ومنها يستقي ما دام متبعاً له، قال تعالى: (قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا و من أتبعني).

خصائص السنة النبوية

1 - أنها نوع من الوحي: فالسنة وإن كانت: ما صدر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإنما هي شكل من أشكال الوحي قال تعالى: (وما ينطق عن الهوى أن هو إلا وحي يوحى) .

2- اتصال السند، وهو خصيصة من خصائص الأمة الإسلامية، حيث لا تجد الأمم الأخرى اليوم سنداً متصلاً لأقوال أنبيائها ورسُلها عليهم الصلاة والسلام ، وإنما هي أقوال يرويها بعض علماءهم وأخبارهم ورهبانهم عنهم دون اتصال .

3 - الحفظ من الضياع .

4 - العصمة من الخطأ في التشريع . وذلك لأن السنة وحي ، والوحي منزّه عن الخطأ، وجاء في الحديث الشريف عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قوله - صلى الله عليه وسلم - حين أذن له بكتابة الحديث: " اكتب ، فو الذي نفسي بيده ، ما يخرج منه إلا الحق) .

المصدر الثالث: السيرة النبوية المطهرة

السيرة النبوية هي: تاريخ حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - وبيان طريقته فيها. لأن السيرة النبوية في اللغة : الطريقة ، والحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره ، يقال: قرأت سيرة فلان : أي تاريخ حياته ، وجمعها سير ، ، كما تشمل شمائله وغزواته ، وجميع تحركاته الدعوية ، وتكون السيرة من هذا الوجه أعم من السنة النبوية في اصطلاح الأصوليين. ولما كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - الداعي الأول لهذا الإسلام ، كانت سيرته أوسع مصدر عملي للدعاة ، وكان الكتاب والسنة أوسع المصادر النظرية لهم .

المصدر الرابع: سيرة الخلفاء الراشدين:

الخلفاء الراشدون بعده عليه السلام الذين أُجمع على وصفهم بذلك أربعة، هم على الترتيب: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم .

وهؤلاء الأئمة الأربعة الخلفاء الراشدون أفضل الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً.

ولمكانة هؤلاء الخلفاء من رسول الله عليه السلام وخلافتهم الراشدة كانت سنتهم متبعة كسنة رسول الله عليه السلام ولاسيما فيما اتفقوا عليه من سنن ، وسنوه للناس من بعدهم

وقد كان لسيرتهم وسنتهم هذه المكانة الخاصة ، لأنهم كانوا إذا عرضت لهم قضية ، نظروا في كتاب الله وسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فإن وجدوا فيها شيئاً أخذوا به وإن لم يجدوا ، شاوروا من حولهم من كبار صحابة رسول الله عليه السلام . (وخير مثال قتال مانعي الزكاة وغيرها)

فكانت سنتهم وسيرتهم امتداداً طبعياً لسنة رسول الله عليه السلام وسيرته ، وتطبيقاً عملياً لمنهج الله ورسوله

ولعل حكمة اعتبار سنتهم كسنة رسول الله عليه وسلم في الإتيان ، ألا تقتصر أسوة المؤمنين على النبي المعصوم عليه السلام وإنما تشمل خلفاؤه الراشدون من بعده ، وحتى لا يتوهم متوهم أن إمكانية تطبيق الإسلام تطبيقاً صحيحاً لا تكون إلا في زمن رسول الله عليه وسلم وتتوقف بوفاته ، فقامت الحجة بسنتهم وسيرتهم كما قامت بسنة رسول الله عليه السلام إلى يوم القيامة .

المصدر الخامس: وقائع العلماء والدعاة في ضوء تلك المصادر

تعد تجارب العلماء والدعاة ، وتصرفاتهم في الوقائع الدعوية مصدراً هاماً من مصادر الداعية ، يعينه على فهم المصادر السابقة ، واستنباط الأحكام منها ، لأنها تطبيقات عملية لمنهج الله ورسوله.

ومع أهمية هذه الوقائع وعظيم فائدتها ، فإنها اجتهادات تُعد مصدراً تبعياً يستفاد منه في ضوء المصادر الأصلية السابقة ، لأنها اجتهادات بشرية تخطئ وتصيب فإذا أجمع العلماء على التعامل مع واقعة ما بشكل محدد ، كان عملهم حجة بسبب الإجماع ، وإن اختلفت آراؤهم واجتهاداتهم فيها ، كانت آراء اجتهادية تنير الطريق لغيرهم ، ولو أصابوا فيها أجزاً واحداً - كما هو شأنهم في الاجتهادات الفقهية .

فليست الدعوة الإسلامية نصوصاً جامدة ، أو أعمالاً وأحكاماً ثابتة ، وإنما هي بجانب النصوص الشرعية والأحكام الفقهية أفهام بشرية ، واستنباطات علمية وموازنات دقيقة لا يحسنها إلا أهلها. وهم العلماء ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فقد جاء في الحديث : " العلماء ورثة الأنبياء "

وإن أولى العلماء بالاستفادة من وقائعهم وتصرفاتهم فيها: الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ، لأنهم أعلم الناس بالمنهج الرباني ، والأسلوب الحكيم ، وذلك لصحبتهم لرسول الله عليه السلام ومعاشتهم لسيرته الدعوية ، مما جعلهم خير الناس وجعل لهم منزلة خاصة عند علماء الأمة ، حتى جعل بعضهم قول الصحابي حجة ودليلاً .

ثم يأتي بعدهم التابعون لهم بإحسان من علماء القرون الأولى ، الذي أخذوا عن الصحابة واهتدوا بهديهم . ثم يأتي من بعدهم علماء الأمة ودعاتها على مختلف العصور ، الذين لا تخلوا الأمة من أمثالهم ، جزاهم الله جميعاً عن المسلمين خير الجزاء .

ومع الاعتراف بأولوية وأهمية وقائع علماء السلف ودعاتهم ، فإنه لا ينبغي للدعاة أن يزهدوا بوقائع علماء السلف ودعاتهم ، فإنه لا ينبغي للدعاة أن يزهدوا بوقائع علماء عصرهم ، وتجارب الدعاة المعاصرين ، فقد يكون فيها من الوقائع والأحداث ما يشابه وقائع العصر الذي يعيشون فيه ، وما هو أكثر مطابقة لها ، فكلما تقاربت العصور تشابهت الوقائع والأحداث فيها ، والعلماء المؤثّقون في كل عصر ، هم أدري الناس باحتياجات عصرهم ، وبالأساليب النافعة فيه ، فلا يغني شيء عن شيء .

ومن ذلك الاطلاع على سيرة الشيخين وجهودهما الدعوية (ابن باز ، ابن عثيمين ، وغيرهما) .

10 - أساليب الدعوة إلى الله :

تعريف الأسلوب :

في اللغة: الطريق ، والمذهب، يقال: سلكت أسلوب فلان في كذا: طريقته ومذهبه، وطريقة الكاتب في كتابته.

وفي الاصطلاح: (الطرق التي يسلكها الداعي في دعوته).

نماذج من أساليب الدعوة :

تعود الأساليب في مجملها إلى ثلاث مجموعات ، وهي :

1. مجموعة الأساليب التي تحرك الشعور والوجدان، و التي بمجموعها تمثل

المنهج العاطفي، كأسلوب الوعظ والتذكير ، وأسلوب الترغيب والترهيب، وأسلوب تحريك العاطفة الإيمانية وتهيجها، وأسلوب الدعاء للمدعو.

2. مجموعة الأساليب التي تدعو إلى التفكير والتدبر والاعتبار، والتي بمجموعها

تمثل المنهج العقلي، كأسلوب المقارنة بين الحسن والقبيح ، وأسلوب التشبيه، وأسلوب المناظرة، وأسلوب التوضيح والتعليل العقلي، وأسلوب الرد على الشبهات.

3. مجموعة الأساليب التي تعتمد على الحس والتجارب الإنسانية ، والتي

بمجموعها تمثل المنهج الحسي ، كأسلوب القدوة الحسنة ، وأسلوب ذكر الداعية تجاربه وما يظهر عليه، وأسلوب تحفيظ المدعو ، وأسلوب الإحسان للمدعوين ومساعدتهم.

4. الأساليب العامة ، والتي تشمل الأساليب السابقة ، أو بعضها ، كأسلوب

الخطابة، وأسلوب القصص ، وأسلوب التعليم ، وأسلوب السؤال والجواب.

و لكثرة الأساليب وتنوعها؛ ينبغي للداعية إلى الله I :

- اختيار الأسلوب المناسب للمدعوين، وذلك بالنظر إلى حالهم وزمانهم

ومكانهم، فمثلاً نجد أن رسول الله P ، يستخدم أسلوب الرفق واللين في بعض المواقف، وفي مواقف أخرى يستعمل الشدة والقسوة ، وذلك لحاجة المدعو في هذه الحال لمثل هذا الأسلوب.

- التنويع بين هذه الأساليب وطرحها ، وذلك لأن المدعو فيه ثلاث ركائز، وهي:

العاطفة والعقل والإحساس ، فالداعية الموفق الذي يستخدم الأساليب التي تشبع الركائز الثلاث بشكل متوازن ومتناسق .
وسائل الدعوة إلى الله تعالى :

تعريف الوسائل:

في اللغة هي: ما يُتوصل ويُتقرب به إلى الشيء ، توسل إلى ربه بوسيلة أي تقرب إليه بعمل، وهي الواسلة، والواصلة، و القربى، وجمعها وسائل و وُسُل، يقول الله I: {أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب}.

وفي الاصطلاح: ما يتوصل به الداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة من أمور معنوية أو مادية).
وقيل : هي ما يستعين به الداعية على تبليغ الدعوة من أشياء وأمر.
أنواع وسائل الدعوة إلى الله تعالى :
نستطيع أن نقسم الوسائل إلى نوعين، هما:

- 1 - الوسائل المادية: وهي جميع الأدوات المحسوسة، كالقول، والعمل.
 - 2 - الوسائل المعنوية: كالصلاة، والدعاء، والتخطيط، والتنظيم .
- وأيضاً للوسائل تقسيم آخر ، وهو :
- 1 - الوسائل الأصلية: كالقول، والعمل .
 - 2 - الوسائل المساعدة: كالمنبر، ومكبر الصوت. واللباس ، واستغلال المواقف والفرص، والنظر للمدعو أثناء الحديث معه، ووسائل الإعلام بأنواعها.
- ومما ينبغي التنبيه عليه أن استخدام الوسائل، والسعي في تحصيلها وإتقانها، لا يتعارض مع التوكل على الله I .

وينبغي للداعية إلى الله I ، عند اختيار الوسيلة مراعاة القواعد الآتية :

- 1 - أن الوسائل لها حكم الغايات ، فلذا لا بد من مشروعية الوسيلة.
 - 2 - درء المفسد مقدم على جلب المصالح .
 - 3 - دفع أعظم المفسدين باحتمال أدناهما.
 - 4 - الإتيان بأعظم المصلحتين إذا لم يمكنهما معاً.
- موضوعات الدعوة إلى الله تعالى :
- يمكن القول أن موضوعات الدعوة تدور حول التقسيم الآتي:

1 - العقيدة .

2- الشريعة .

3 - الأخلاق .

15 - قضايا دعوية :

هناك مجموعة من القضايا التي ينبغي التنبيه عليها وهي :

أولاً / ضرورة الاعتماد على الكتاب والسنة في اختيار الموضوعات ودعوة الآخرين ،
والبعد عن الهوى والميول الشخصية .

ثانياً / التدرج : في الدعوة مع الناس ، فمثلاً الخمر حُرمت على مراحل وهكذا يؤخذ
الناس بالتدرج .

ومن التدرج ترتيب موضوعات الدعوة حسب أهميتها الشرعية ، فلا يُقدم موضوع على
آخر ، هو أهم منه. هذا وإن الأصل في أوليات الدعوة الذي يجب على الدعاة الالتزام به
هو ما يأتي :

1 - التوحيد وقضايا العقيدة .

2 - أركان الإسلام ، وخاصة منها الصلاة ، وما يتصل بها من أحكام
كالغسل والوضوء.

3 - ثم تأتي بقية الموضوعات على حسب أهميتها وتقدم الشارع لها .

ثالثاً/ البعد عن التعصب :

فالتعصب للأشياء - معها، أو ضدها - سلباً ، أو إيجاباً- إلى درجة تجعل الناس ،
يصابون بنوع من الخوف الشديد من هجوم المتعصبين ، ضدهم ، أو معهم ، إذا كان هناك
خطأ حصل ، أو واقع سيء قائم ينبغي إزالته ، ولا شك أن هذا يؤدي إلى عدم الإقدام
والمبادرة ، والاعتراف بالخطأ ونقده ، والمطالبة بالعودة للحق واتباعه .

رابعاً/ إنزال الناس منازلهم ، فهذا من القواعد الكبيرة التي كان النبي ﷺ ، يراعيها ويتعامل بها
مع المدعوين ، كأبي سفيان ، وزيد الخيل ، وغيرهم كثير

ثانياً / مقرر الحسبة

1. تعريف الحسبة لغة واصطلاحاً :
الاحتساب لغة له عدة معانٍ، منها: طلب الأجر، والاختبار، والإنكار، والظن، والاعتداد، والاكتفاء⁽¹⁾.
أما في الاصطلاح فقد عرفه العلماء بعدة تعريفات⁽²⁾. من أشهرها تعريف الإمام الماوردي والقاضي أبي يعلى الحنبلي، حيث يقولان: (الحسبة: هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله)⁽³⁾.

2. أركان الحسبة :
أركان الحسبة أربعة : كما ذكر ذلك الغزالي - رحمه الله - فقال : إن أركان الحسبة أربعة: المحتسب، والمحتسب عليه، والمحتسب فيه، ونفس الاحتساب.
1. المحتسب : اسم فاعل من احتسب، ويقصد به القائم بالحسبة.
وقد اشترط الفقهاء في المحتسب: الإسلام والتكليف والعلم والعدالة والقدرة البدنية والإذن من الإمام والذكورة.

2. المحتسب عليه: وهو من تقع عليه الحسبة بأمره بالمعروف أو نهيهِ عن المنكر.
3. المحتسب فيه: وهو المعروف الذي يؤمر به، أو المنكر الذي يُنهى عنه.
4. المحتسب به: والمراد به الوسيلة التي يحتسب بها المحتسب على الناس، وقد يشار إليها في كتب الحسبة بمراتب الاحتساب. وهي أولاً التنبيه والتذكير، ثم الوعظ والتخويف من الله، ثم الزجر والتأنيب والإغلاظ بالقول، ثم التغيير باليد، ثم إيقاع العقوبة بالنكال والضرب، ثم الاستعداد ورفع الأمر إلى الحاكم.
وأمثّل لهذه الأركان بمثال، فأقول: لو أن رجلاً لا يحضر الصلاة في المسجد فوعظه

(1) انظر : الحسبة (تعريفها ، ومشروعيتها ، وحكمها) ، الدكتور / فضل إلهي ، ص5-7 ، الطبعة الأولى 1410هـ ، ط إدارة ترجمان الإسلام ، باكستان .

(2) للزيادة انظر: المرجع السابق، ص7-16 .

(3) الأحكام السلطانية، للإمام الماوردي، ص240 ، الطبعة الأولى 1327هـ ، ط شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة. والأحكام السلطانية، للقاضي أبي يعلى الحنبلي، ص284، طبعة 1403هـ ، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

رجلٌ على ما فعل.

فالمحتسب: هو الواعظ.

والمحتسب عليه: هو الرجل التارك للصلاة في المسجد.

والمحتسب فيه: هو ترك الصلاة في المسجد.

والمحتسب به: هو الوعظ.

3. حكم الحسبة ، ومكانتها ، ونوعية فرضها :

شرعت الحسبة طريقاً للإرشاد والهداية والتوجيه إلى ما فيه الخير ومنع الضرر . وقد حبب الله إلى عباده الخير وأمرهم بأن يدعوا إليه ، وكره إليهم المنكر والفسوق والعصيان ونهاهم عنه ، كما أمرهم بمنع غيرهم من اقترافه ، وأمرهم بالتعاون على البر فقال تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) . وقال جل شأنه : (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) .

الحكم التكليفي: الحسبة واجبة في الجملة من حيث هي ، لا بالنظر إلى متعلقها إذ إنها قد تتعلق بواجب يؤمر به ، أو مندوب يطلب عمله ، أو حرام ينهى عنه ، فإذا تعلقت بواجب أو حرام فوجوبها حينئذ على القادر عليها ظاهر ، وإذا تعلقت بمندوب أو بمكروه فلا تكون حينئذ واجبة ، بل تكون أمراً مستحباً مندوباً إليه تبعاً لمتعلقها ، إذ الغرض منها الطاعة والامتثال ، والامتثال في ذلك ليس واجباً بل أمراً مستحباً ، فتكون الوسيلة إليه كذلك أمراً مستحباً . وقد يترتب عليها من المفسدة ما يجعل الإقدام عليها داخلاً في المحذور المنهي عنه فتكون حراماً .

والحكمة من مشروعية الحسبة :

أن الناس لا يزالون - في مختلف العصور - في حاجة إلى من يعلمهم إذا جهلوا ، ويذكرهم إذا نسوا ، ويجادلهم إذا ضلوا ، ويكف بأسهم إذا أضلوا ، وإذا سهل تعليم الجاهل ، وتذكير الناسي ، فإن جدال الضال وكف بأس المضل لا يستطيعهما إلا ذو بصيرة وحكمة وبيان . لذلك شرعت الحسبة.

ومن أفضل ما استدل به على مشروعية الحسبة قوله سبحانه : (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) (آل عمران/104) ، وقوله سبحانه : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم) (التوبة/71).

وولاية الاحتساب نوعان :

- ولاية أصلية مستحدثة من الشرع.
- وولاية مستمدة وهي الولاية التي يستمدّها من عهد إليه في ذلك من الخليفة أو الأمير، وهو المحتسب.

4. مقارنة الحسبة بالولايات الأخرى :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - (وجميع الولايات الإسلامية إنما مقصودها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سواء في ذلك ولاية الحرب الكبرى مثل نيابة السلطنة والصغرى مثل ولاية الشرطة وولاية الحكم أو ولاية المال وهي ولاية الدواوين المالية وولاية الحسبة)⁽¹⁾.

و الحسبة مرتفعة عن أحكام القضاة من وجهين، ومقصورة عنها من وجهين، وزائدة عليها من وجهين أحدهما: يوافق في جواز الاستعداد، وسماع دعوى المستعدي عليه من حقوق الآدميين، في ثلاثة أنواع فقط:

الأول: النجش، والتطفيف في كيل ، أو وزن.

والثاني: الغش، والتدليس في بيع، أو ثمن.

والثالث : المطل بالدين ، مع المكنة.

واختص بهذه الثلاثة دون غيرها، لتعلقها بالمنكر الظاهر الذي نصب له، لأنه موضوع منصب الحسبة في عرف الولايات.

والوجه الثاني الذي يوافق فيه : إلزام المدعى عليه الخروج من الحق المدعى به ، وهذا

(1) - الحسبة ، ص 66 .

عام في جميع الحقوق ، وإنما هو خاص في الحقوق التي جاز له سماع الدعوى فيها إذا وجبت بالإقرار والمكنة واليسار ، فيلزم المقر الموسر الخروج منها ، لأن في تأخيرها منكرًا هو منصوب لإزالته ، وأما الوجهان في قصورها عن القضاة :

فلا يسمع عموم الدعاوي الخارجة عن ظاهر المنكرات ، في العقود ، والمعاملات ، وسائر الحقوق ، إلا أن يفوض ذلك إليه بنص صريح يزيد على منصب الحسبة ، فيكون قاضياً ومحتسباً ، فيشترط فيه شروط القضاء ، ويقتصر على الحقوق المعترف بها ، بخلاف ما جحد لاحتياجه لسماع البيّنات والأيمان وليس منصبه .

والوجهان الزائدان له على الأحكام : فتعرضه لوجوه المعروف والمنكر ، وإن لم ينه إليه ، بخلاف القاضي ، وله من السلطة والحماية في المنكرات ما ليس للقضاة ، لأن موضوعه الرهبة ، وموضوع القضاء النصفة ، وهو بالأناة والوقار أولى ، فإن خرج القاضي إلى السلطة خرج عن منصبه الذي وليه ، وتشابه الحسبة ولاية الظالم من وجهين ، وتخالفها من وجهين .

فتشابهها في : الرهبة ، وجواز التعرض للإطلاع .

وتخالفها : أن موضع ولاية المظالم فيما عجز عنه القضاة ، فرتبة المظالم أعلى ، ولوالي المظالم أن يوقع للقضاة والمحتسبة . والمحتسب لا يوقع لأحد منهما . ويجوز لوالي المظالم أن يحكم وليس للمحتسب أن يحكم .

5. شبهات حول الحسبة :

هناك مجموعة من الشبهات⁽¹⁾ . التي تثار حول الحسبة ، سأعرضها والرد عليها بالتفصيل ، وهي على النحو الآتي :

الشبهة الأولى : ((وجوب ترك الاحتساب بحجة تعارضه مع الحرية الشخصية))

يقول بعض الناس : " يجب علينا أن نترك الناس وشأنهم ولا نتدخل في شؤونهم الخاصة بأمرهم بالمعروف الذي لا يرغبون في فعله ، ونهيهم عن المنكر الذي يرغبون فيه ، لأن هذا يتعارض مع الحرية الشخصية الثابتة في الإسلام " .

(1) - كتاب شبهات حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الدكتور / فضل إلهي .

ويستدلّ هؤلاء على صحة رأيهم بقوله عز وجل: (لا إكراه في الدين قد تبين
الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا
انفصام لها والله سميع عليم) .

أولاً: عدم وجود ((الحرية الشخصية)) المزعومة .

لنا أن نسأل أصحاب هذا القول : أين تلك ((الحرية الشخصية)) المزعومة ؟ أفي
مشارك الأرض أم في مغارها؟ هل وجدتموها في أنظمة شرقية أم في أنظمة غربية ؟ كلا ، لا
عند هؤلاء ، ولا عند أولئك . يُطالب المرء بالخضوع والامتثال لقواعد و أنظمة على رغم
أنفه حيثما حل وارتحل.

هل يُسمح لأحد في الشرق أو الغرب أن يعبر التقاطع والإشارة حمراء ؟ هل يُعطى في
الغرب لأحد حق بناء بيت بماله الذي اكتسبه بكد جيئنه على الأرض التي اشتراها بخالص
ماله كيفما شاء من غير مراعاة الضوابط التي وضعتها أمانة تلك المدينة التي هو فيها ؟ و
الأمر في الشرق أدهى وأمرّ ، ليس له أن يملك بيتاً.

ثانياً : المفهوم الإسلامي للحرية الشخصية :

الحرية الشخصية التي منحها الإسلام للعباد هي أنه أخرج العباد من عبودية العباد ،
ولا يعني هذا إخراجهم من عبودية رب العباد ، ما أحسن ما عبر القرآن الكريم عن هذا : (
ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً الحمد
لله بل أكثرهم لا يعلمون) .

فالمطلوب في الإسلام أن يتحرر العبد من كل من سوى الله ويصير عبداً منقاداً مطيعاً
مستسلماً لله الواحد الخالق المالك المدبر . وهذا ما عبّر عنه الصحابي الجليل ربي بن عامر
ؓ ، مجيباً على سؤال رستم بقوله : (الله ابتعثنا ، والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة
العباد إلى عبادة الله) .

ثالثاً: الخطأ في فهم الآية: (لا إكراه في الدين):

ليس معنى الآية بأن للناس كلهم فعل ما يشاءون وترك ما يشاءون ، وليس لأحد
إلزامهم على فعل الخير الذي تركوه أو اجتناب الشر الذي فعلوه ، بل المراد بالآية – والله
أعلم بالصواب – كما يقول الحافظ ابن كثير : (أي لا تكرهوا أحداً على الدخول في

الإسلام).

وحتى هذا ليس لغير المسلمين كلهم بل رجح كثير من المفسرين بأن هذا الحكم خاص بأهل الكتاب ومن شابههم. وأما عبدة الأوثان من مشركي العرب ومن شابههم فلا يُقبل منهم إلا الإسلام أو القتال معهم .

رابعاً : ثبوت وجوب الحسبة بنصوص الكتاب والسنة :

إن هؤلاء أخذوا آية واحدة وحاولوا تأويلها وفق أهوائهم وتجاهلوا تلك النصوص الكثيرة الصريحة الواضحة التي لا تترك مجالاً للشك والتردد في فرضية الحسبة. أين هؤلاء من تلك النصوص التي وردت فيها صيغة أمر للقيام بالاحتساب، وصيغة نهي للمنع عن تركه ؟ وذلك مثل قوله تعالى: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)، ومثل قوله ع: « مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يُستجاب لكم ». ومثل قوله: « لا يمنعن رجلاً منكم مخافة الناس أن يتكلم بالحق إذا رآه وعلمه».

خامساً : تشريع الحدود والتعزيرات ينقض هذه الشبهة :

ماذا سيكون موقف هؤلاء من الحدود والتعزيرات التي شرعت لمعاقبة مرتكبي بعض الجرائم ؟ أيردون تلك النصوص الثابتة الصريحة التي جاء فيها بيانها ؟ . ومن تلك النصوص - على سبيل المثال - ما جاء فيها من عقوبة الزاني : « البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم ».

الشبهة الثانية: ((ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث لا يضرنا ضلال الضالين))

يقول بعض الناس: لا يجب علينا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث أمرنا الله تعالى بالاهتمام بأنفسنا وببين أنه لا يضرنا ضلال الآخرين واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم). الرد على الشبهة من جانبين :

أولاً : كشف النقاب عن حقيقة الشبهة من الآية نفسها :

لو تدبر أصحاب هذه الشبهة في الآية نفسها لما نطقوا بها . اشترط الله تعالى لعدم إصابة الضرر بسبب ضلال الآخرين أن يكون الشخص مهتدياً حيث قال تعالى : (لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم) . ولا يصير الشخص مهتدياً إلا إذا أدى ما أوجبه الله عليه . ومما أوجب عليه أن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر . فالذي لا يقوم بهذا لا يكون مهتدياً لأن فوات الشرط يستلزم فوات المشروط . وقد بيّن هذا بعض الصحابة والتابعين وكثير من المفسرين والعلماء القدامى والمتأخرين .

فعلى سبيل المثال فقد نقل الإمام ابن جرير الطبري عن حذيفة رضي الله عنه في تفسير هذه الآية أنه قال : (إذا أمرتم ونهيتم) ، كما نقل الإمام الطبري عن سعيد بن المسيب في تفسير الآية أنه قال : (إذا أمرت بالمعروف ، ونهيت عن المنكر ، لا يضررك من ضل إذا اهتديت) .

ثانياً: تفنيد الشبهة بالنصوص الأخرى :

وردت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة تبين أنه مما يجب على الصالحين تجاه أعمال الآخرين السيئة تذكيرهم ومنعهم عنها . وإن لم يفعلوا هذا يوشك أن ينزل عليهم غضب الله فيدعونه فلا يستجيب لهم .

ومن تلك النصوص قوله تعالى : (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديثٍ غيره . وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين . وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون) .

الشبهة الثالثة: ((ترك الحسبة بسبب التقصير والنقص))

يقول بعض الناس : (حيث لا نقوم بكل ما أمرنا به ولا نجتنب كل ما نهينا عنه ، لذا يجب علينا أن نهتم بأنفسنا بدل أمر الآخرين بالمعروف ونهيه عن المنكر) . واحتج أصحاب هذا القول بالمنقول والمعقول .

أما المنقول فقالوا: ذم الله تعالى من أمر الناس بالمعروف ونسي نفسه، وذلك في قوله تعالى : (أأأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) .

وقوله تعالى: (ياأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون).

كما بين رسول الله ﷺ سوء عاقبة هؤلاء ، فقد روى الإمام البخاري عن أسامة رضي الله عنه قال : سمعت من رسول ﷺ يقول : « يُجاء بالرجل فيطرح في النار فيطحن فيها كما يطحن الحمار برحاه ، فيطيف به أهل النار فيقولون : أي فلان ! أأست كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : إني كنت آمر بالمعروف ولا أفعله ، وأنهى عن المنكر وأفعله ».

وأما المعقول فقالوا: فإفعل الشيء لا يعطيه. من يستجيب لمن يأمر بمعروف و لا يأتيه، وينهى عن منكر ويأتيه؟

الرد على هذه الشبهة:

أولاً/ سبب الذم هو : ترك المعروف وليس الأمر بالمعروف :

هناك واجبان :

1. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

2. فعل المعروف وترك المنكر .

وإن النصوص التي احتج بها أصحاب هذه الشبهة ليس فيها ذم بسبب القيام بالواجب الأول بل فيها ذم بسبب ترك القيام بالواجب الثاني. لم يُنكر فيها بسبب أمر الناس بالبر ، ونهيهم عن المنكر ، والتلفظ بالقول الطيب ، بل إنما أنكر فيها بسبب نسيان الأنفس ، وترك المعروف وارتكاب المنكر ، وعدم الفعل وفق القول الطيب.

فعلى سبيل المثال هناك طالب نجح في مادة ((التفسير)) ورسب في مادة ((الحديث)) هل يُعقل توجيه اللوم بسبب النجاح في مادة التفسير ؟ إنما يُلام بسبب رسوبه في مادة الحديث .

ثانياً : ترك أحد الواجبين ليس مبرراً لترك الواجب الثاني :

إن الواجبين اللذين ذكرناهما ليس أحدهما شرطاً للثاني فيكون ترك أحدهما مبرراً لترك الثاني .

يقول الإمام النووي بأسلوب آخر: ((قال العلماء : ولا يُشترط في الأمر والنهي أن

يكون كامل الحال ممثلاً ما يأمر به مجتنباً ما نُهي عنه ، بل عليه الأمر وإن كان مخالفاً بما يأمر به ، والنهي و إن كان متلبساً بما ينهى عنه فإنه يجب عليه شيان : أن يأمر نفسه وينهاها ، ويأمر غيره وينهاها فإذا أخلَّ بأحدهما كيف يُباح له الإخلال بالآخرة ((.

ثالثاً : الأخذ بهذا القول يؤدي إلى تعطيل الاحتساب :

لو اشترطنا للأمر والنهي أن يكون فاعلاً لكل ما أمر به ومجتنباً كل ما نُهي عنه لن تجد من يقوم بالاحتساب ، وبهذا يتعطل هذا الواجب العظيم . وقد نبّه علماء الأمة إلى هذا الأمر ، فقال سعيد بن جبير : (لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ما أمر أحد بمعروف ولا نُهي عن منكر) .

رابعاً : عدم جدوى احتساب غير الكامل ليس بأمر دائم :

لا شك أن دعوة الكامل أشدّ وقعاً في النفوس وأكثر استجابة من دعوة غير الملتزم لكن القول بأن دعوة غير الكامل أو احتسابه عديم الجدوى دائماً غير صحيح . كم من أنبياء الله الكاملين الملتزمين لم تؤثر دعوتهم في أقرب أقاربهم . لم يستجب لنداء رسول الله نوح عليه السلام ابنه ، كما لم يستفد من دعوة خليل الله إبراهيم عليه السلام أبوه ، ولم تقبل قول نبي الله لوط عليه السلام زوجته ، كما لم يحوّل نصح أكمل خلق الله تعالى محمد (ووعظه عمّه أبا طالب إلى الإسلام .

وكم من أنبياء الله الكاملين دعوا أقوامهم فما آمن معهم إلا قليل ، بل منهم من لم يؤمن به أحد، وعلى العكس من هذا كم من أصحاب الدعوات الفاسدة - المخالفين لأقوالهم بأفعالهم - نرى لهم أتباعاً كثيرين وكم من دعاة حرمة الإنسان وحرية يجردون أنصاراً كثيرين مع أنهم من أشد الناس انتهاكاً لحرمة وحرية وكم من حماة لحقوق العمال والشعوب - على حسب زعمهم - ولهم أتباع كثيرون رغم كونهم من أكثر الناس هضماً لحقوقهم .

فخلاصة القول ليس لأحد أن يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحجة أن احتسابه لا يفيد بسبب تقصيره فلربما يفيد المقصّر حيث لا يفيد فيه من هو أحسن منه حالاً .

تنبيه :

لا يُنهم بما ذكر بأننا لا نرى بأساً في ترك المعروف وفعل المنكر للأمر بالمعروف

والناهي عن المنكر ، بل نؤكد أنه يجب عليه فعل المعروف وترك المنكر ، و أنه يعرض نفسه لغضب الله تعالى عند التساهل في هذا . ونقرر أيضاً بأنه ينبغي أن يكون أول فاعل لما يأمر به ، وأول تارك لما ينهى عنه كما كان رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم .
غاية ما في الأمر أن فعل المعروف وترك المنكر ليس شرطاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فلا يُقال لمن أمر بالمعروف ولم يفعله أو نهي عن المنكر وفعله : ((لا تأمر بالمعروف ولا تنه عن المنكر))، بل نقول له : ((استمر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واتق الله تعالى في نفسك فمرها بالمعروف وانهاها عن المنكر)) .

الشبهة الرابعة : ((ترك الاحتساب بسبب عدم استجابة الناس))

يقول بعض الناس : (ينبغي أن لا نضيع جهودنا و أوقاتنا في أمر الناس بالمعروف ونهيه عن المنكر حيث إنهم لا يستجيبون) .
الرد على الشبهة :

أولاً : لا يُشترط لوجوب الاحتساب قبول الناس :

لم يشترط الله تعالى ولا رسوله لوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر استجابة الناس ، بل أوجب الله تعالى على نبيه الكريم وعلى أمته تبليغ الناس أوامره ونواهيه سواء استجابوا أم لم يستجيبوا . وقد وردت نصوص كثيرة تبين هذا . منها على سبيل المثال قوله تعالى : (فإن تولوا فإنما عليه ما حُمِّل و عليكم ما حُمِّلتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين) .

ومنها قوله تعالى : (فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ) .

ثانياً : الحكم على الناس بعدم الاستجابة من الأمور الغيبية :

إن الحكم على الناس بأنهم لا يستفيدون من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأمور الغيبية التي لا يعرفها إلا العليم الخبير . إن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع رب العباد ، يقلبها متى شاء وكيف ما شاء . وما أسهل على الله تعالى تقليبها .

فقد روى الإمام مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : إنه سمع رسول الله يقول : ((إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء)) .

وقد شبّه رسول الله (سهولة تصريف قلوب العباد بتقليب ريشة بأرض فلاة .
فقد روى الإمام ابن ماجه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« مثل القلب مثل الريشة ، تقلّبها الرياح بفلاة » .

وكم من أشخاص يراهم الناس من أتقى الناس فيتحولّون إلى أفسق الناس ، وكم من
أفسق الناس يأتهم الموت وهم من أتقى الناس . هذه حقيقة نقرؤها في سير الناس ،
ونشاهدها في حياتنا اليومية ، وبينها الصادق المصدوق الناطق بالوحي بقوله ﷺ : « إن
العبد ليعمل — فيما يرى الناس — عمل أهل الجنة ، وأنه من أهل النار ، ويعمل — فيما يرى
الناس — عمل أهل النار ، وهو من أهل الجنة ، وإنما الأعمال بخواتيمها » .

فإذا كان البشر يجهل خواتيم الآخرين فكيف يسوغ له أن يفترض أنهم لا يجيبون ،
ويترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر استناداً إلى هذا الافتراض ؟

ثالثاً : وجوب التأسي بالرسول الكريم في هذا الأمر :

جعل الله تعالى في رسوله الكريم أسوة لنا حيث يقول عز من قائل : (لقد كان لكم
في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً)
فلنا أن نسأل أصحاب هذه الشبهة : هل ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نظراً لعدم
استجابة الناس ؟

كلا ، بل استمر صلوات الله وسلامه عليه في ذلك في أشد الأحوال وأصعبها راجياً
من الله هداية المخاطبين ، بل هداية أجيالهم القادمة إن لم يستجب الجيل الموجود .
وسيرته الطاهرة تدل على هذا .

7. نماذج من احتساب النبي ﷺ :

قد جعل الله تعالى الاحتساب شعار هذه الأمة ومناط خيريتها، فقال تعالى: (كُنْتُمْ

خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ([آل عمران: 110]، وأبان عز وجل أن القيام به عنوان السعادة وبوابة الفلاح، وأن تركه سبيل استحقاق لعنته، والطرده من رحمته فقال آمراً به: (وَلْتَكُن مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [آل عمران: 104]، وقال عز من قائل: (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنِ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) [المائدة: 78 - 79].

وأوضح النبي الكريم ﷺ أن القيام به شرطٌ للنجاة، وأن الإعراض عنه سببٌ للهلاك، وتعرضٌ للعقوبة، وحرمانٌ من إجابة الدعوة فقال ﷺ: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً»، وقال ﷺ: «والذي نفسي بيده! لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم».

وأمام ذلك الترغيب العظيم والتهديد الشديد بادر المصلحون على امتداد تاريخ الأمة الطويل على اختلاف مواقعهم إلى الاحتساب في كافة مستويات المجتمع وطبقاته، ولكثرة الشواهد وسعتها فسأكتفي بذكر بعض ذلك من خلال سيرة النبي ﷺ وحياته العطرة، من خلال ما يلي:

1. احتساب النبي ﷺ في محيطه الأسري:

لم تُلهِ المهام الجسام التي كانت موكلةً ببنينا الكريم ﷺ من تعليم الناس الكتاب والحكمة، وتدبير شؤون الأمة، ومواجهة الأخطار المحدقة بها، والانكسار بين يدي ربه آناء الليل وأطراف النهار. لم تلهه ﷺ عن تربية أسرته الكبيرة، وتوجيهها إلى الابتعاد عما يُغضب ربها، ويحول بينها وبين الظفر برحمته. عز وجل. وإحسانه، ومن ذلك: ما روت عائشة. رضي الله عنها. قالت: «دخل عليّ النبي ﷺ وفي البيت قِرَام فيه صور، فتلّون وجهه، ثم تناول الستر

فهتكه، وقال -ع: إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يصوّرون هذه الصور»، وما روته . رضي الله عنها . قالت: قلت للنبي ع: حسبك من صفية كذا وكذا - تعني قصيرة - فقال: «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته، قالت: وحكيث له إنساناً، فقال: ما أحب أني حكيت إنساناً وأن لي كذا وكذا»، وما رواه خادمه أنس . رضي الله عنه . قال: «بلغ صفية أن حفصة قالت: بنت يهودي، فبكت، فدخل عليها النبي ع ، وهي تبكي، فقال: ما يبكيك؟ فقالت: قالت لي حفصة: إني بنت يهودي، فقال النبي ع : إنك لابنة نبي، وإن عمك لنبي، وإنك لتحت نبي؛ ففيمَ تفخر عليك؟! ثم قال: اتقي الله يا حفصة!». .

2. احتساب النبي ع ، على أصحابه المحيطين به:

عني رسول الله ع بتزكية أصحابه الكرام - رضوان الله عليهم أجمعين - وبخاصة القريين منه، المكثرين من خلطته، وعمل على تنقيتهم من المعاصي والذنوب، وتحليتهم بالفضائل من أعمال القلوب والجوارح، مبادراً إلى نهيهم عن كل خطأ يراه عليهم أو زلة يستجرهم إليها الشيطان برفق ولين يبتان المحبة دون تنفير، وحكمة تبني دون أن تهدم، ومن ذلك ما رواه أبو ذر ر قال: «إني ساببت رجلاً فعيرته بأمه، فقال لي النبي ع : يا أبا ذر! أعيرته بأمه؟! إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم؛ فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم» .

وحديث عائشة - رضي الله تعالى عنها - حين أهتم قريشاً شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله ع؟! فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله ع؟ فكلمه أسامة، فقال رسول الله ع: «أتشفع في حد من حدود الله؟! ثم قام فخطب، ثم قال: إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله! لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها». .

وحديث أبي مسعود البصري . رضي الله عنه . قال: «كنت أضرب غلاماً لي بالسوط، فسمعت صوتاً من خلفي: اعلم أبا مسعود! فلم أفهم الصوت من الغضب، قال: فلما دنا مني إذا هو رسول الله ع ، فإذا هو يقول: اعلم أبا مسعود! اعلم أبا مسعود! قال: فألقيت السوط من يدي، فقال: اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام! قال:

فقلت: لا أضرب مملوكاً بعده أبداً».

3. احتساب النبي ﷺ على ذوي الفضل من العلماء والعُباد:

لأهل العلم وأرباب الطاعة والمستكثرين من العبادة شأن رفيع، ومنزلة سامقة في هذه الأمة، ولكن ذلك لم يَحُلْ بين النبي ﷺ وبين الإنكار عليهم، ومواجهة أحدهم حينما يقع في خطأ أو يصدر منه زلل دون أن يُنزلهم ذلك عن رتبهم أو يحط من أقدارهم، ومن شواهد ذلك: حديث جابر π : «أن معاذ بن جبل π ، كان يصلي مع النبي ﷺ ، ثم يأتي قومه فيصلي بهم الصلاة، فقرأ بهم البقرة، قال: فَتَجَوَّزَ رجل فصلى صلاة خفيفة، فبلغ ذلك معاذاً، فقال: إنه منافق، فبلغ ذلك الرجل، فأتى النبي ﷺ ، فقال: يا رسول الله! إننا قوم نعمل بأيدينا، ونسقي بنواضحنا، وإن معاذاً صلى بنا البارحة، فقرأ البقرة فتجَوَّزَت، فزعم أني منافق، فقال النبي ﷺ : يا معاذ! أفَتَنَّ أنت؟ (ثلاثاً)، اقرأ: {وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا} [الشمس: 1]، و {سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى: 1]، ونحوها» .

وحديث عبد الله بن عمرو . رضي الله عنهما . قال: «زَوَّجَنِي أَبِي امرأة، فجاء يزورها، فقال: كيف ترين بعلك؟ فقالت: نِعَم الرجل من رجل! لا ينام الليل ولا يفطر النهار. فوقع بي، وقال: زَوَّجْتُكَ امرأةً من المسلمين فعضَلْتَهَا، قال: فجعلت لا ألتفت إلى قوله؛ مما أرى عندي من القوة والاجتهاد، فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فقال: لكني أنا أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، فقم ونم، وصم وأفطر! قال: صم من كل شهر ثلاثة أيام، فقلت: أنا أقوى من ذلك، قال: صم صوم داود . عليه السلام . صم يوماً وأفطر يوماً، قلت: أنا أقوى من ذلك. قال: اقرأ القرآن في كل شهر، ثم انتهى إلى خمس عشرة وأنا أقول: أنا أقوى من ذلك».

4. احتساب النبي ﷺ على الأمراء وأصحاب الولايات:

عقد النبي ﷺ ، أُلوية الإمارة لجماعة من أصحابه الكرام ﷺ ممن توسَّمَ فيهم القدرة على القيادة، وسياسة الآخرين، والقيام بالمهام الموكلة إليهم بإتقان وأمانة، ولكن توليته -صلى الله عليه وسلم- لتلك الفئة المتميزة، وثقته الكريمة بها لم تَحُلْ بينه وبين أن ينكر على أحدهم ما قد يقع منه من خطأ ومخالفةٍ لنهج الصواب، ومن ذلك حديث علي π : أن النبي ﷺ ، بعث جيشاً وأَمَرَ عليهم رجلاً، فأوقد ناراً، وقال: ادخلوها! فأرادوا أن يدخلوها، وقال آخرون: إنما فررنا منها، فذكروا للنبي -صلى الله عليه وسلم-، فقال للذين أرادوا أن

يدخلوها: لو دخلوها لم يزالوا فيها إلى يوم القيامة، وقال للآخرين: لا طاعة في معصية، إنما الطاعة في المعروف» .

وحديث أبي حميد الساعدي τ ، قال: «استعمل رسول الله ε ، رجلاً على صدقات بني سليم يُدعى ابن اللَّتَيْيَةِ؛ فلما جاء حاسبه، قال: هذا مالكم، وهذا هدية، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: فهلاًّ جلست في بيت أبيك وأملك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقاً! ثم خطبنا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد: فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولّاني الله، فيأتي فيقول: هذا مالكم وهذا هدية أُهديت لي! أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته؟! والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة، فلأعرفن أحداً منكم لقي الله يحمل بغيراً له رُغَاء، أو بقرة لها خُوار، أو شاة تَيْعَر، ثم رفع يده حتى رئي بياض إبطه يقول: اللهم هل بلغت، بَصَرَ عيني وسمِعَ أذني».

5. احتساب النبي ε ، على عامة المجتمع:

لم تَحُلْ مشاغل النبي ε ، العظيمة وأعماله الجسيمة بينه وبين الاحتساب على فئات المجتمع قليلة المخالطة له ε ، حين يحصل داعٍ لذلك، ومن الشواهد: حديث أبي هريرة τ ، «أن رسول الله ε ، مرَّ على صُبْرَةِ طعامٍ، فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللاً، فقال: ما هذا يا صاحب الطعام؟! قال: أصابته السماء يا رسول الله! قال: أفلا جعلته فوق الطعام؛ كي يراه الناس؟! من غشَّ فليس مني» .

وحديث سلمة بن الأكوع τ ، «أن رجلاً أكل عند رسول الله ε ، بشماله، فقال: كُلْ بيمينك! قال: لا أستطيع، قال: لا استطعت. ما منعه إلا الكِبَرُ، قال: فما رفعها إلى فيه»

وحديث ابن عباس . رضي الله عنهما . «أن رسول الله ε رأى خاتماً من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه، وقال: يعمد أحدكم إلى جمره من نار فيجعلها في يده؟ فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله ε : خذ خاتمك انتفع به، قال: لا والله! لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله ε » .

وحديث عبد الله بن جعفر . رضي الله عنهما . أن رسول الله ε : «دخل حائطاً لرجل

من الأنصار، فإذا جمل، فلما رأى النبي ﷺ حنّ، وذرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ فمسح ذفره فسكت، فقال: مَنْ رَبُّ هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال: يا رسول الله! فقال: أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟ فإنه شكا إليّ أنك تجيئه وتُذئبه».

وبالجملة: فقد كانت الحسبة والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مكوّناً أساساً من مكونات شخصية النبي ﷺ ، لم تفارقه في كل أدواره ومواقفه، وفي كافة صلّاته وعلاقاته، وفي جميع مواقع وجوده، وهو موضع عظيم للتأسي والاقتداء فهمه الصحابة الكرام ومارسوه في عامة أحوالهم وأدوارهم حتى في الحالات الخاصة؛ كحادثة الإسلام كما في قصة الطفيل بن عمرو الدوسي، الذي من حين أسلم خرج مسرعاً إلى قومه داعياً لهم ومحتسباً عليهم، حتى أفلح عن الشرك والمنكرات معه من قبيلته دوس العدد الغفير ، وكحالات المرض الشديد كما في قصة عمر . رضي الله عنه . حين دخل عليه في مرض موته شابٌ يعود، فلم يلهه فراش الموت والتفكير في كيفية تدبير شأن الدولة من بعده أن يأمر الفتى برفع الإزار وترك الإسبال.

B